



دراسات في الفن

ولكنها حكمة الله التي شامت أن تبمثر اثنتين :

تزوجته منهما واحدة ، وشالت عنه واحدة بعد ما ظلت تحوم حوله زمناً لم تهمل فيه حيلة من حيل الإغراء التي تستولى بها النساء على الرجال ، ولم تستر فيه حسنة من حسناتها ، وقد كانت كلهما حسنات مما يخلب الألباب ، ولم تحجب فيه بريقاً تألفت به روحها ، بل كانت تحرق فيه روحها لتألق أمامه متفانية ، لعلها تستهويه إذا احترقت ونورت ، ولم تدع فيه قوة من قوى الأنوثة التي حببها الطبيعة بأقواها وأشدّها وأحكمها ، إلا سلطتها عليه لتخذه بها ... فما استطاعت أن تصل منه إلى شيء أكثر من أنه أحبها كما كان يحبها ، وما كان هذا الذي تقصده ، وإنما كانت تريد أن تأخذه أخذ النساء اللواتي تعرفن للرجال الذين تعرفهم . فلما عجزت وسائلها عن تمكينها من غرضها يئست وأعلنت إفلاسها

كنت أحسبك رجلاً !

بهذا وردت استراوس شبيقة
للأستاذ عزيز أحمد فهمي

كان لاستراوس عاشقتان ، وكان لكل واحدة منهما اتجاه في الحب ، وكان هو يحبهما معاً ، وعلم الله أنه كان يود بكامل صدقه وإخلاصه ، لو أنهما كانتا عاشقة واحدة ، فقد كانت كل واحدة منهما تكمل أختها ، ولم يكن يعب إحداهما إلا أنها استقلت عن الأخرى بجسد وحدها ...

وتروح تقسم أن تصون عهودنا
فأجبتها قد كان ذلك والهوى
أغراك أني شاعر متبذ
أهوى ، ثم أهوى الجمال مبرقماً
أهوى الجمال عفيفه وببيده
ولقد أعاف الشيء مع أني به
وأعود عنه وملء نفسي شهوة
كم منهل يجمته متجرعاً
قد كان حسنك قبل ذلك ملعبي
عودي إلى ما كتبه من عفة
ودعي التصنع بالفرام فأنا
إن تبنتي وصلاً فلست بمتبغ
أو كنت مولعة وأنت كما أرى
فعلام خفت إذن أجب أفلا تمي؟
عف وثوب الطهر غير مرفع
للحسن أراءه بقلب موجع
بالطهر لا أهواه غير مبرقع
عن كل شائنة وخش مقذع
كلف شديد الوجد صعب المنزع
وكا علمت تعفني وترقي
سقط الدباب به فلم أخرج
واليوم بات وقد تدنس مفزعي
أو فأركيني لا تقضي مضجعي
من يبالي بالهوى المتصنع
أو ترمي صلحاً فلست بزمع
تبغين تضليل فلست بمولع
فؤاد بلييل

دار الأهرام

يكفيك أنك كنت أول ناشق
يكفيك أنك قدر شفت رضاها
دعها لساقلة الطيور غنيمة
في موضع أقوى الفساد عراصة
وإذا ظلمت ولم تجد لك مثيلاً
فاطوئ العلوج على الصدى أو مت به

حرراً أبي النفس غير سروع
لموت خير من ورودك موردا
من كان لا يرضى المجرة مشرباً
هيات يفتي كدرة المستنقع

ومغيلة أحت على بلورها
قالت (وما كذبت) أراك سلوتنا
فاستغربت مما رآه وهالها
قالت أذكرك حين كنت متيماً
راحت تصب عتابها في مسمى
ودنت تعافني فقلت لها ارجعي
ألا أظاوعها على ما تدعي
تشكو لهيب فؤادك المتصدع

والأنونة في المغاور والكهوف كما كانت تتطلع إلى أزيائها في «ثيبتها» في المغاور والكهوف لا يتعلق الناس إلا بالحق ، ولا يفقههم إلا الصدق ، ولا يمكن أن يتبادلوا العواطف إلا بوحى من الطبيعة لا بوحى من الحاجة ، وببداة من الروح لا ببداة من المادة : ذلك أن العواطف لهفات الروح لا البدن . وهم أقرب الناس إلى الأطفال . بل إنهم الأطفال يتمون في طفولتهم ، ويكبرون في سفرهم . ولولا هذا لخرجوا من هذه المغاور والكهوف إلى حيث يستطيعون أن يصارعوا الرجال في الحياة القائمة على وجه الأرض ، والتي يتراسق الناس فيها بقنايل من الأباطيل والأكاذيب والحيل والمخادعات

إنهم عاجزون ، والله مع العاجزين هذا العجز ، وهو يعوضهم عنه قوة أخرى هي هذه الحاسة النادرة التي لا يجاهد في سبيل اكتسابها إلا أقل الناس ، والتي تقتصد الطبيعة كل الاقتصاد في تهيتها عناصرها في النفوس ، والتي يدرك بها هؤلاء الأطفال الكبار العاجزون من حقائق الوجود ما يفيب عن إدراك الكبار الرجال الذين ليسوا أطفالاً

ولم تكن البارونة الصغيرة تلح هذا ولا كانت تعرفه ، وإنما كانت تسحرها أغاني استراوس وألحانه ، وكانت تؤذيها كأطيب ما تنسج إليه نفسه هو فتشمر حينئذ بأن روحه من روحها ، وأن روحها من روحه ، فإذا ادلمعت عليه بأنوثتها وأنه كالسحور أو الممول له عمل ، فلما طال هذا وتكرر أدركت أنه غير رجل ، ولكنها زعمت أن هذا الإدراك يجب أن يكون نهاية الصلة بينهما ، فقطعت صلتها به وما فكرت في هذه الحالة الشاذة ولا في طريق علاجها ، ولم تذكر أنها أنشدت له لحناً صاغه هو لتبرج به هي في حفلة من حفلاتها ، ولم يكن هذا اللحن إلا آهات كل آهة منها حكم تصدره على رجل يعينه من النظرة الأولى التي تلقى عليها ، فلمع مرور المصحب بنفسه آهة فيها السخرية بغروره وتبهه ، وللحلم للتغائب عن الوجود آهة مرسله شاردة كأنما تصاحبه إلى الملكوت الأعلى ، وللسمين القاعد على روحه آهة دسمة كأنما هي الرغيف المشرب رغيف آخر فيه خروف صغير ، وللمهندم المؤدب الأنيق التزجج آهة مرتمشة مخفوقة كأنها محرجة وجلة ... ولم تذكر أن هذه الآهات تمددت في اللحن وتكاثرت بألوانها ودلائلها حتى لم يعد من العقول أن يقال بعدها إن استراوس يبدي عن نفسه المرأة وعقلها ، جاهل

وهجرته ، وقالت له وهي تودعه متمشقة في حنقها : « كنت أحسبك رجلاً » ... قالتها وهي تظن أنها سمعته بها ، وتركتته ومضت ... لو عرفت أن أشد النساء عداوة لها أوشكت أن تحب استراوس وأن تهيم به ، لحذرتها منه رحمة وبراً بالأنونة أن يذللها هذا الذي كانت ... رجلاً ... فتبينته غير رجل !

ولو علمت هذه الصغيرة أنها حين رأت استراوس في سررة غير صورة الرجل ، رأت منه جوهر نفسه ... إذن لما تركته ولا هجرته ما دامت تحبه ، ولبدأت تعالج الحب على أساس جديد غير ذلك الأساس الذي يقوم عليه الحب بين المرأة والرجل . فقد كان استراوس غير رجل حقاً ، ولكنه في كونه النانه كان لا يزال يحب المرأة ، ويستسلم لها ، ويفزع كلما خيل إليه أنه قد يقضى الحياة من غير امرأة .

وكانت زوجه تعرف فيه هذا ، وإن لم تكن ترى شيئاً وراءه فكانت تظله بالذى يطيب لها من ظلال أنوثتها وجها فاشتد سلطانها عليه ، وتحكمها فيه حتى كانت النظرة اللائحة منها تهطل على أشد ثوراته اندلاعاً فتقطعها وتحمده أنفاسها

فإذا كان استراوس ؟

كان إنساناً كبقية الناس ، ولكنه كان إلى جانب هذا قليل الصلة بالدنيا لأنه كان شديد الصلة بما في أعماقها ، وكان قليل الحيلة في اصطناع حركات الناس وسكناتهم لأنه كان شديد الخبرة بدخائل نفوسهم ، شديد المراقبة لخلجات هذى النفوس ونبضاتها ، شديد الموازنة بين ما يراه وبين ما ينزع إليه من الكمال ، شديد النقد لما يبدو له من النقص والعيب . والذي ينفذ هذا النفاذ إلى ما تستره مادة الدنيا لا يمكن أن يشبه الرجال الذين يعيشون على سطحها ، والذين يسمون على رجليهما سى الهوام والماشية . وإنما له كيان آخر ، دلائله وآياته فنونه . وقد كان استراوس فناناً ، وكان فنه يستدعيه إلى الأعماق ، وكانت عاشقته التي نفرت منه تمزق معه إلى الأعماق أحياناً فيتراوجان ولكنها كانت تنسى إذ ذاك أنه رجل وأنها أنثى ، فإذا ذكرت هذا طفرت إلى السطح وأرادته أن يسى إليها طفراً هو أيضاً ، ولكنه كان يظل حيث هو ويناديهما إليه فلم تكن تستطيع أن تمرد إليه إلا إذا كسيت أنها الأنثى التي تريدها هي

فهل لم يكن ميسوراً أن تدرج إلى مغاوره وكهوفه في ثوب من الأنونة يخفيه ؟ قد كانت تستطيع لو أنها تطلعت إلى أزياء

قد كان عليها أن تربه نفسها صريحة واضحة في الفن مهما خشيت أن تتضائل إلى جانب صفائه وقوته ربما كانت تنتظر أن يقول لها : « لحنى ١ » بل ربما تكون قد استأذنته في التلحين بأسلوبها الموج المتنوي فهل عرفت البارونة لماذا لم يأذن لها ، ولماذا لم يطلب منها أن تصوغ الألحان ... ذلك أنه حين أراد أن يلحن ... لحن ، وحين كان يريد أن يبنى لم تكن قوة تستطيع أن تحبس صوته ... فلمله لم يصدقها ، أولمله خشى أن يدعوها إلى شيء قد تكون عنه عاجزة ... أولمله كان يرجحها فيحرقها من طلب إذا أجابته فإنما تجيبه إرضاء له هو لا إرضاء لنفسها ...

وأغلب الظن أنها كانت عاجزة لأنها كانت بارونة . وأغلب الظن أنها كانت تستطيع أن تطاوله ، وأنها انطلقت في الحياة كما كان هو منطلقاً فيهما ، فأتها ركبا يوماً عربية معاً ، ومرحت بهما العربية في أحراش وغابات ، وأثارت خطي الجواد الذي كان يجر العربية — وكانت خطي منتظمة على ضرب متسق — بواغت الشدو في نفوس الطير وفي نفسيهما وفي نفس الحوذى الذي كان معهما ، فأنشد الطير ، وأنشدها ، وأنشد الحوذى ، وكان من نسيدهم جميعاً لحن القالس الكبير الذي لا يمكن أن يقال إلا أن الطيبة والجواد والطير والعاشقين والحوذى ، اشتركوا جميعاً في توصيله من النيب إلى هذا الكون .

وعلى هذا فقد كانت البارونة من معدن استراوس . كانت هي الأنثى غير الأنثى لهذا الرجل غير الرجل . ولكننا لا ندري كيف أنكرت منه شروده عن رجولة السطح ، ولم تذكر أنها حين أفاقت من القالس الكبير وهي في المرة ألقت نفسها مطوية بين ذراعيها المتشنجتين اللتين كادتا تهصرانها همراً ؟

كان عليها أن تدرك إذن أن له لونا من الأنوثة خاصاً بخلبه ، وهو هذا اللون الشائع في أعماق الطيبة والذي قاض في نفسها هي عند ما كانت تشدو مع الطير ومع الطيبة ومعه

كان عليها أن تدرك هذا ، ولكنها لم تدركه فأى شيء دهاها ؟ دهاها هذا « الإتيكيت » الذي نشأت عليه في القصور ، ودهاها هذه التقاليد التي علمتها أن تطلب الطعام إذا جاءت بالحديث عن لوحة زيتية تفنن مصورها في رسم تقاحها وكثراها ... فإذا سمع استراوس كلامها هذا نظر هو أيضاً إلى الصورة ، وتفضخص فيها التفاح والكبرى ولم يفهم بعد ذلك شيئاً ... فميناها ...

طريقة تفكيرها ، غافل عن أحكامها و « حيثيات » هذه الأحكام وقد كان هذا اللحن وحده يكفي لكي تعلم البارونة الصغيرة أن استراوس الذي يتسمع إلى الصمت في الطبيعة كما يسمع أسواتها وينظم من هذا وتلك ألحانه المعجزة ... بصير أيضاً بالنفوس عامة سواء منها نفوس النساء ونفوس الرجال ، والبصير بالشيء لا يعجز عن نيته ، مادامت فيه القوة التي تمكنه من نيته وقد كان استراوس في أزمنة الترامية هذه شاباً فتياً له جسد الإنسان الرجل النزاع إلى جسد الأنثى ... فما الذي منعه عنها ؟ أمانة الزوجية ؟

قد يكون هذا ، ولكنه بعيد لأن حياة استراوس مع البارونة الصغيرة لم يحدث فيها ما يدل على أنه استشعر الأنوثة التي ترضيه فيها — وهي أنوثة المغاور والكهوف — تحاول أن تنزوه فيصدها بهذه الأمانة . بل الذي حدث هو عكس هذا فقد قدم استراوس عاشقته هذه لشب من أصحابه في ثورة من ثورات فيينا على أنها فتاة مغنية فقط ، ولم يكن في هذا كاذباً ولا مجاملاً ، بل كان صادقاً لأنه لم يشمر منها إلا بأنها كما قال . فلم تكن الأمانة الزوجية هي التي حالت دون استراوس وعشيقته ، وإنما هذه العاشقة نفسها هي التي التوت على حبها ، والتوت على نفسها ، والتوت على حبيبها ، وكان بيدها ألا تلتوى

وقد يسألنا سائل عن هذا الذي نطلبه من المسكينة الصغيرة ما هو ؟ أكننا نريدها أن تخرج على طيبة المرأة أكثر مما خرجت فتدعو إليها استراوس بالذي دعت به امرأة فرعون إليها سيدنا يوسف الجليل ؟

ونحن نقول لا . ونقول إن الحب لا ينتج إلا من صراع في الغزل ، والصراع في الغزل إذا انتهى إلى حب فهو واحد من حبين في نفس كل من العاشقين : إما حب الخنو ، وإما حب الإعجاب ، ولم تكن لاستراوس قوة يستر بها غير قوة الفن ، وكان فنه الموسيقي ، فلو أن البارونة الصغيرة ناوشته بألحان فإنه لم يكن هناك بد من أن تقهره : إذا قاقت ألحانها ألحانه خلخته واستحوذت عليه عاشقاً وتلميذاً لها ، وإذا قاقت ألحانه ألحانها حنا عليها ، واحتضنها وراح يسقيها ما هي ظمأى إليه ، ورباهما كما تربي الدجاجة أفراخها ، ولكن البارونة الصغيرة لم تبصع شيئاً من هذا ، واكتفت بأن تغنى له فكان يرى فيها نفسه هو ، ولم يكن بنفسها ...

تأخذه منها فقالت لها : « لا تأخذه على أنه رجل فهو لا يعرف من أموره أمراً ، ولا يمكنه أن يدبر شأننا من شؤونه لأنه طفل ! »
كان هذا تمبير زوجه استراوس ، وكان هذا التعبير هو الصدق
وكان هذا الصدق نتيجة ما كان ينهها وبينه من صراع في المنزل
والحب ، فقد عجزت عن الفن كل العجز أمامه ، وعجز هو عن إدراك ما كان في نفسها من قوة الرعاية والهدب كل العجز أيضاً
فاندجما وتشابكا

فلو كانت هاتان الماشقتان واحدة !

أما زوجة استراوس فإ كانت تستطيع أن تستكمل نقصها
بمثل ما كان في البارونة من فطرة الفن ، فالفن موهبة .
وأما البارونة فقد كانت تستطيع أن تتعلم من زوج استراوس
طريقة ترويضه وصيافته ، إذا احتاجت إلى شيء من هذا ...
ولم تكن لاحتاج لو أنها أتمت الفن ...
ولكنها كانت بارونة ...
عزيزه احمد فهمي

ميناها تنظر في صدق عجيب إلى جمال التفاح والكثيرى كأنما هي
معجبة به حقاً . . . فكيف لا يصدق استراوس إعجابها بالرسم
وكيف يعرف أنها جائعة

لا بد أن يشعر وأن يحس ؟ أليس هو الحساس الموهوب
أكثر مما وهب البشر ؟ أليس هو الناقد المتفرس الناقد إلى ما وراء
المادة والحجب ؟ نعم إنه كذلك حقاً ... ولكنه يلقي هذا السلاح
بين يدي محبوبته ، فهو يصدق كل ما تقول . . . ويجول معها
أينما شاءت ، ويسلم لها قيادته في المسئلة عن عقله وهو بين يديها ،
وهي التي تقوده إلى هذه الوديان القاحلة ...

ولم تكن زوجته هكذا على قلة ما كانت تدرك من جمال فنه
وروعته . فهي لم تنازله بالفن ، ولم تناوشه بالنغم ، وإنما هجمت
عليه بإخلاصها وعطفها ورعايتها ، ولمست فيه طفولته وجبرته
في الحياة خارج ميدان الفن ، ولقد أرشدت هذه الزوجة البارة
بارونة زوجها إلى هذا الطبع في نفسه يوم أرادت البارونة أن

في مصانع شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى آلة لاختبار متانة المنسوجات
تعرض تجاربها على كل زائر . وقد أثبتت هذه الآلة أن الثوب المصرى المصنوع في
هذه الشركة يعادل في متانته ثلاثة أثواب أجنبية — أى أن الثوب المصرى يبق
عليك زمنا تبلى في خلاله ثلاثة أثواب أجنبية

فاطلبوا من جميع المتاجر منتجات

شركة مصر للغزل والنسيج